ذاكـــــــــرة

من هو القصاص الاول عربيـــــا؟

جعفر الخليلي

ألجزء الاول
وهو مقدمة تاريخية موجزة

القصة العربية

يخطئ المؤمنون بخلو التاريخ العربي القديم من القصة، فالقصة –بناء على ما مر– لا يمكن ان تخلو منها امة من الامم، وكل ما في الامر هو ان الوسائل لبثها وتسجيلها كانت معدومة في التاريخ العربي القديم فتأخر ذلك الى العصور الاسلامية التي تم فيها جمع ما امكن جمعه ضمن مواضيع عامة، ومع ثبوت ذلك، فقد ظل البعض من علماء الادب يعتبر هذا النوع شيئا آخر غير القصة، ويعده من جملة العروض التاريخية غير ملتفت الى وجود العناصر التي تؤلف القصة الكاملة في الكثير من هذه القصص.

واول مصدر للقصة العربية كان القران الكريم، فقد جاء بالقصة واضفى عليها من جمال البلاغة والادب شيئا كثيرا، والقران خير دليل على وجود القصة عند العرب، والفرق بين قصة الامس وقصة اليوم، هو ان القصة بوجه عام تحكى بصورة تغاير حكاية القصة اليوم، فكان بعضها قصة كهذه القصص المتعارفة، وبعضها اشبه بالمثل السائر او الشاهد العابر، او العرض الذي يعرض به التاريخ وتسجل به الحوادث منها بطراز القصة المألوفة عندنا اليوم ولكن ذلك لا ينبغي ان يجردها من مزايا القصة كما لم يجرد الشعر القديم، والنثر، والخطابة، والرسائل من مزايا الشعر، والنثر، والرسائل لمجرد هذا التغاير الحاصل والمفاهيم الخاصة للشعر، والنثر في هذا اليوم، فهو شعر، وهو نثر لا يمكن ان يكون غيرهما شعرا ونثرا في تلك العصور، وهي قصص لا يمكن ان تكون القصة شيئا آخر غيرها في ذلك العصر.

اقدم مصادر القصة العربية

وتعتبر كتب السيرة النبوية اقدم مصادر القصة العربية بعد القران الكريم، سواء تلك السيرة المختصرة التي جمعها في القرن الاول الهجري، واوائل القرن الثاني الهجري امثال –ابان بن عثمان بن عفان –وعروة ابن الزبير او السيرة النبوية التي جمعها –الواقدي– وابن هشام وابن سعد، في الطبقات في القرن الثالث، وللاسلام الفضل الاول والاكبر في تغذية القصة العربية الجديدة وعبوره بها الى ما وراء الطبيعة، والتحدث عن الغيب والاخرة وقيام الساعة.

القصاص الاول

اما اول عربي يجدر بأن ينعت بالقصاص بحق فهو لوط بن يحيى بن مخنف الازدي المكنى بابي مخنف من ابناء القرن الاول الهجري وقد مات سنة ١٥٧هـ.

وجاء ذكره في معجم الادباء انه –كان راوية اخباريا صاحب تصانيف في الفتوح وحروب الاسلام قال يحيى ان معين هو كوفي.

وقال ياقوت– وجدت بخط احمد بن حارث الخزاز قال: قالت العلماء ابو مخنف بأمر العراق وفتوحها واخبارها يزيد على غيره.

وروى ابن النديم نفس الرواية. واحمد بن الحارث الخزاز ترجم له ياقوت في معجم الادباء قال: كان راوياً مكثرا موصوفا بالثقة وكان شاعرا مات سنة ١٥٧ هـ وكان ينزل في باب الكوفة ودفن في مقابرها.

قال محمد بن اسحاق، لابي مخنف من الكتب –كتاب الردة– كتاب فتوح الشام، كتاب فتوح العراق، كتاب الجمل، كتاب صفين، كتاب النهروان، كتاب مقتل علي كرم الله وجهه، كتاب مقتل حجر بن عدي، كتاب مقتل محمد بن ابي بكر والاشتر، ومحمد ابن ابي حنيفة، كتاب الشورى ومقتل عثمان، كتاب مقتل الحسين بن علي عليهما السلام، كتاب المختار بن ابي عبيد كتاب وفاة معاوية، وعدد ٣٣ كتابا من مؤلفاته.

ويظهر مما بقي من آثار هذه الكتب التي ضمتها بطون التأليف الشهيرة ان معظم هذه الكتب عبارة عن قصص من نوع الدراما، واغلبها قصص تراجيدية محزنة الفها ابو مخنف من مختلف ما سمع باذنيه من اصحابها، وابطالها مباشرة، او بالواسطة، فصاغها صياغة ذلك العصر للقصة، فدخلت في باب الروايات، والاخبار، والاحاديث، ولم تكن القصة مألوفة بهذا المعنى، لتسمى قصة.

وفي قصص ابي مخنف من حيث صحة البعض مما يروى وعدم صحته، وقد وثقه البعض ولم يوثقه الآخرون، كما اختلف في مذهبه الكثيرون، وقد اشار الى ذلك عدد من المترجمين.

والذي يقرأ شيئا من قصص ابي مخنف يؤمن بأن الذين شكوا فيما يروى محقون اذا كان ذلك من رواياته وعلى انه من الجائز ان لا تكون للرجل يد في هذه الروايات اذ هو يسجل كل ما يسمع به، خصوصا وقد قيل عن كتابه، مقتل الحسين، انه وضعه وهو اعمى وكان يتسقط اخبار الحسين بباب الكوفة فيجمع كل ما يسمع به حتى كان منه (مقتل الحسين) وهذا القول على شهرته لم نعثر له على اساس.

نقول وعلى انه من الجائز ان لا يكون لابي مخنف دخل في كل ما ورد من زيادات في قصصه، وعلى انه من الجائز ايضا ان يكون للنقل، وتداول الايدي في التحوير والزيادة فيما عثر لابي مخنف من آثار طوال الازمنة، وهي في بطون امهات الكتب العربية، شأن في ضعف رواياته وما تتخللها من اضافات، وخيال فأننا نعتقد بناء على تشبع روح ابي مخنف بالفن القصصي، وبناء على ما تمكن هذا الفن منه كل التمكن الذي يجعل اغلب مؤلفاته قصصا مستقلة بمواضيعها، وحوادثها، واسلوب سردها، نقول اننا نعتقد انه هو نفسه الذي كان يزيد وينقص في سرد حوادث القصة، ذلك لاتساع مجال خياله كقصاص، ولاشباع روحه الفنية التي تستدعي منه المزيد من الوصف، والمبالغة، واجتياز الحد، والمغالاة في عرض الحوادث لاستهواء القراء، وفقا لمفهوم الرواية الكاملة في ذلك العصر، ولا منافاة عندنا بين هذا الوضع وبين تتبع الرجل حوادث رواياته تتبع من يريد الوقوف على صحتها كما فعل في جمعه شعر الامام ابي عبد الله

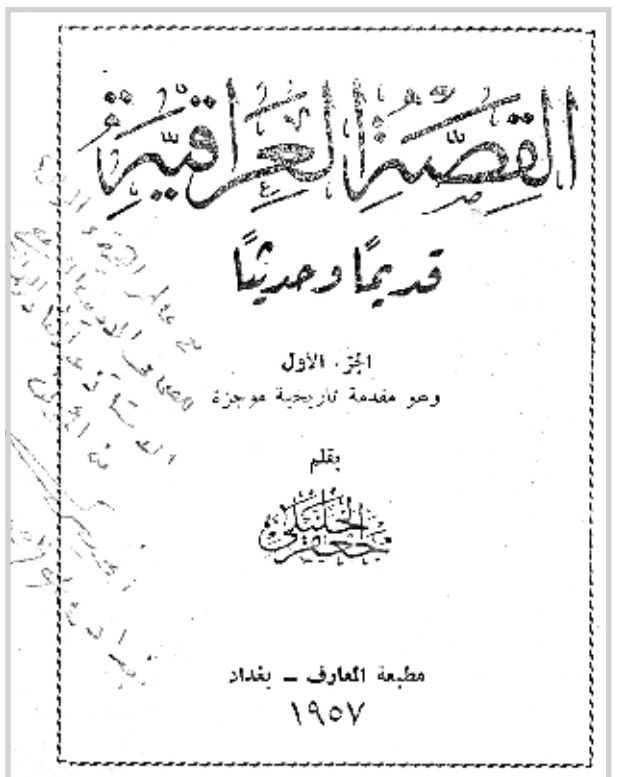

الحسين. فقد جاء في كشف الغمة: قال ابو مخنف لوط بن يحيى "اكثر ما يرويه الناس من شعر سيدنا ابي عبد الله الحسين انما هو تمثل به، وقد أخذت شعره من مواضعه، واستخرجته من مظانه، واماكنه، ورويته عن ثقاة الرجال منهم عبد الرحمن بن نجية الخزاعي، وكان عارفا بأمر اهل البيت عليهم السلام، ومنهم المصيب بن رافع المخزومي، وغيره رجال كثيرون ولقد انشدني يوما رجل من ساكني سلع هذه الابيات فقلت له اكتبها فقال لي: ما احسن رداءك هذا وكنت قد اشتريته يومذاك بعشرة دنانير فطرحته عليه فاكتبنيها الخ..

وليس ابو مخنف اول قصاص عراقي فحسب، بل هو اول قصاص عربي لم يعرف قبله احد انبرى الى القصة يجمع موادها من هنا وهناك، ويبدأ من نقطة معينة، وينتهي بها في نقطة معينة، شأن القصاص فيما يفعل ليخرج القصة التاريخية، وقد احاطت بجميع الاغراض والحوادث دون ان تفوته شاردة ولا واردة، وعندنا ان الادب العربي قد تأثر بهذا القصاص الى حد بعيد جدا، ولا سيما في –مقاتله– وقد اورد له –الطبري– في تاريخه كثيرا من هذه القصص.

ومقتل الحسين من اشهر كتبه التي تقرأ في العشرة الاولى من المحرم في كثير من الاقطار الاسلامية، وعلى الاخص العراق، منذ القرن الثاني للهجرة حتى هذا اليوم، وقصة هذا المقال يحفظها كثير من خطباء المآتم الحسينية ويلتزم البعض بقراءة هذا المقتل من الفه الى يائه في اليوم العاشر من المحرم طلبا للثواب، ولا يقوم اغلب سامعيها الا وقد جفت عيونهم من كثرة البكاء، ولربما تكون تلك المأساة قد تركت في نفوسهم آثارا عميقة كل العمق، وعلى رغم ذلك الحشو الذي ضعضع الثقة بروايات ابي مخنف اذا صحت انها رواياته الشخصية.

واننا نجتزئ من هذه القصة الطويلة قصة (مقتل الحسين) صفحة فنسوقها مثلا من امثلة القصة العربية عن اول قصاص عربي عراقي كوفي في تلك العصور النائية.

الإيثار

قال ابو مخنف بعد ان استعرض مقتل العباس ابن امير المؤمنين في عرصة كربلاء وخطاب ابي عبد الله الحسين في جيوش الكوفة فقال: دعا –اي الحسين– برجل يقال له انس بن كاهل وقال له امض الى هؤلاء القوم– أي جيش الكوفة المتألب على قتاله نزولا على امر يزيد بن معاوية لاخذ البيعة من الحسين– وذكرهم الله تعالى ورسوله عساهم يرجعون عن قتالنا. واعلم انهم لا يرجعون ولكن لتكون لي عليهم حجة يوم القيامة.

قال فانطلق انس حتى دخل على ابن سعد –وابن سعد هو عمر وهو الذي تولى محاربة الحسين صادعا بأمر والي الكوفة عبيد الله بن زياد– وهو جالس فلم يسلم عليه، فقال له: يا أخا كاهل ما منعك ان تسلم علي؟ الست مؤمنا مسلما؟ والله ما كفرت وقد عرفت الله ورسوله. فقال له انس: كيف عرفت الله ورسوله وانت تريد ان تقتل ولده واهل بيته ومن نصرهم؟

فنكس ابن سعد رأسه وقال:

اني اعلم ان قاتلهم في النار لا محالة ولكن لا بد من ان انفذ امر الامير عبيد الله!!

فرجع انس الى الحسين واخبره بما قاله فجمع الحسين اصحابه وقال: "اثني على الله احسن الثناء واحمده على الشدة والرخاء، معاشر المؤمنين لست اعلم اصحابا اصبر منكم، ولا اهل بيت اوفى، وافضل من اهل بيتي، فجزاكم الله عني احسن الجزاء، واني اظن ان آخر ايامي هذه مع هؤلاء القوم الظالمين وقد ابحتكم فما في رقابكم مني ذمام وحرج، وهذا الليل قد انسدل عليكم فليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من اهل بيتي، وتفرقوا في البيداء يمينا وشمالا عسى ان يفرج عنا وعنكم فان القوم يطلبونني دونكم.

فقال له اخوته وبنو اخيه ومواليه وبنو عبد الله بن جعفر: لم نفعل يا سيدنا ولا ارانا الله فيك سوءاً ولا مكروها؟

ثم قال لاولاد مسلم بن عقيل: حسبكم من القتل بأبيكم مسلم فقد اذنت لكم، وكان مسلم رسول الحسين الى الكوفة قبيل ورود الحسين الى العراق فقتل.

فقالوا– معاذ الله يا سيدنا اذا نحن تركناك فماذا تقول الناس لنا وماذا نقول لهم؟ لا كان ذلك ابدا بل نفديك بأرواحنا وانفسنا ونقاتل معك الاعداء حتى نرد موردك فقبحا للعيش بعدك.

ثم قام اليه مسلم بن عوسجة قال: انخليك يا بن رسول الله وحيدا فريدا؟ فبم نعتذر غدا عند جدك وأبيك وامك واخيك؟ والله لاكسرن فيهم رمحي، ولاضربنهم سيفي ما ثبت قائمه بيدي، والله لو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لاقاتلنهم بالحجارة حتى يعلم الله اني قد حفظت ذرية نبيه، والله لو اني اقتل، ثم أحيا ثم اقتل ثم احرق، ويفعل بي ذلك سبعين مرة ما تركتك، فكيف وهي قتلة واحدة وبعدها الكرامة التي لا اوفى منها.

ثم جلس وقام زهير بن القين وقال: يا بن بنت رسول الله وددت لو اني اقتل ثم أحيا هكذا الف مرة ويدفع الله عنك وعن هؤلاء الفتية الذين حولك القتل.

وتكلم اصحابه بكلام يشبه بعضه بعضا، وقالوا والله لا نفارقك وانفسنا دون نفسك نفديك بارواحنا من جميع الاسواء، فاذا نحن قتلنا فقد قضينا ما علينا.

هذه صفحة من تلك القصة الطويلة قصة ابي عبد الله الحسين من مبدأ كتابة اهل الكوفة له باستقدامه وخروجه من المدينة الى قتله، وقتل اصحابه وسبي عيالاته في عرصة كربلاء، وارسلهم اسرى الى يزيد ابن معاوية في الشام، وفي هذه الصفحة من تلك القصة الطويلة يستطيع السامع والقارئ ان يتميز اسلوب كتابة القصة عند اول قاص في العراق، بل اول قاص في العربية وكيفية سوق الحديث ومن هذه الصفحة يستكشف رأي الحسين في محاربيه، واصحابه، ومحاولته تجنيب آله واصحابه من ورطة الحرب والقتل، ورأي اصحابه فيه وايمانهم به ونوع هذا لايمان في صورة تكفي لاداء غرض القصة الكاملة مع الايثار يومذاك.

عـــن الرائد جعفـــر الخليلي

باسم عبد الحميد حمودي

اصدر القاص والروائي العراقي الرائد جعفر الخليجي كتابه النقدي الاول (القصة العراقية قديما وحديثا) في بغداد عام ١٩٥٧ وهو الكتاب الذي اقتطفنا جزءا من مادته حول القصاص العراقي الاول (ابو مخنف الازدي) الذي يقدمه الخليلي كأول كاتب للمادة القصصية القديمة. والنسخة التي لدينا مهداة الى الصحفي المرحوم عبد القادر البراك صاحب جريدة (البلد) وكان الخليلي (وفق فهرست د.عبد الاله احمد) قد نشر اولى قصصه القصيرة في جريدة (الوطن) بعنوان (القدر) في ٢١ حزيران ١٩٢٩ في عددها المرقم (٣٩) واستمر على نشر قصصه في (الوطن) حتى ٣٠ تموز من العام نفسه ثم انقطع عن النشر فيها، وعندما اصدر جريدته (الهاتف) نشر اولى قصصه فيها في العدد (١٨) من السنة الاولى وهي سنة ١٩٣٦ في ٢١ شباط من العام نفسه بعنوان (المطر) واستمر على النشر في (الهاتف) حتى عام ١٩٥٤ ناشرا خلال ذلك بعض قصصه في جريدة (الحارس) الاسبوعية التي كان يصدرها الصحفي البارز (يومذاك) صبيح الغافقي الذي قدم لنا القاصة ماهرة النقشبندي كقاصة متمكنة وفي جريدة (الحضارة) لمحمد حسن الصوري وفي مجلة (الدنيا) الدمشقية لعبد الغني العطري. وبعد ايقاف (الهاتف) بقرار من مجلس الوزراء اخذ الخليلي ينشر قصصه في جريدة (الشعب) ليحيى قاسم اعتبارا من ٥ نيسان ١٩٥٦ حتى عام ١٩٥٧ ونشر في مجلة (اهل النفط) بعض قصصه خلال ذلك.

وعلى صعيد المجاميع القصصية والروايات نشر الخليلي (التعساء) سنة ١٣٤١هـ في النجف الاشرف ،ثم (اعترافات) عام ١٩٣٧ و(مجمع المتناقضات) دون تاريخ وكذلك (حديث السعي) و(خيال الظل) و(السجين المطلق) و (حديث القوة) سنة ١٩٤٢ وكلها مجاميع قصصية طبعت في مطابع النجف الاشرف، ثم اصدر في بغداد المجاميع القصصية التالية (من فوق الرابية) عام ١٩٤٩ و(اولاد الخليلي) ١٩٥٥، و(هؤلاء الناس) ١٩٥٦ وله في الرواية (الضايع) التي طبعت في النجف عام ١٩٣٧ و(في قرى الجن) التي طبعت في النجف عام ١٩٤٥ واعيد طبعها عام ١٩٤٨ وهي الرواية الاساسية المهمة في التجربة الابداعية الخليجية ويجد القارئ الكريم تحليلا موسعا لها في كتابنا (التراث الشعبي والرواية العربية الحديثة).

للخليلي ايضا مغامرة غريبة في عالم السجون حيث دخل السجن بموافقة ادارته ليتعايش مع قصص السجناء وحياتهم ويدون ذلك في كتاب طريف صدر له عام ١٩٥٦ بعنوان (كنت معهم في السجن) ثم اصدر كتابا بجزأين عن شخصيات عراقية عاصرها بعنوان (هكذا عرفتهم) ارخ فيه لا لحياة هذه الشخصيات بل لجوانب من الحياة الفكرية والسياسية والاجتماعية للعراق خلال نشأة الدولة الحديثة ثم انصرف الخليلي الى تنفيذ مشروع تاريخي وعمراني كبير هو (موسوعة العتبات المقدسة) اصدر منه عدة اجزاء قبل مضايقته من قبل السطات عام ١٩٨٠ واضطراره الى هجرة قسرية قضاها حتى نهاية عمره المديد في بيروت ودمشق وانتقل الى رحاب المولى في نهاية الثمانينيات غريبا مهجرا في شيخوخته الطافحة بالخير والعطاء.

لا يستطيع ناقد او محلل الكتابة عن القصة العراقية الحديثة دون ذكر لتأثير الثلاثي الكبير جعفر الخليلي عبد المجيد لطفي وذو النون ايوب فهم الرعيل لثاني بعد الرائد الاول محمود احمد السيد وهم من واكب تجربته الغضة وطورها بعد ذلك.

وبعد فالخليلي القاص والروائي والباحث على رغم الدراسات الكثيرة التي صدرت عنه لم يدرس بامعان الا على يد المستشرق "سمرفيل" وما زال المجال واسعا لدراسة ادبه كما ما زال المجال متسعا لطبع اعماله الكاملة من قبل وزارة الثقافة وقد حرم من ذلك في حياته الطافحة بالكثير.

علـــي عيـــسى ذاكـــرة المـــسرح العراقي الصوريـــة

عبد الخالق كيطان
abdalkalikkaten@yahoo.com.au

تبدو حاجة فن المسرح للفوتوغراف حاجة ضرورية بسبب الغياب الواضح لأية إمكانية لأرشفة المسرح، فمن المعروف أن فن المسرح هو فن اللحظة وفي ذلك ما يميزه عن السينما والدراما التلفزيونية والإذاعية، وغيرها من من ربع قرن من الزمان حتى صار يمثل الذاكرة الفوتوغرافية الأبرز لهذا المسرح، خاصة وأنه رافق أبرز التجارب والأسماء المسرحية العراقية منذ إبراهيم جلال وليس انتهاء بآخر التجارب الشابة ما أهله للحصول على العديد من الجوائز محلياً وعربياً ودولياً، أبرزها الجائزة الأولى في المهرجان الدولي للصورة الفنية في عمان والجائزة الثالثة في المهرجان العربي للصورة الفنية في دمشق فضلاً عن عدد كبير من الجوائز والشهادات التقديرية من مؤسسات إعلامية عربية وعراقية مختلفة.

وبحكم مزاولته عمله الفني طيلة هذه الفترة الطويلة وما حفظته عدسته من الآف الصور التي تمثل مشاهد لأغلب النتاج المسرحي العراقي منذ منتصف السبعينيات وإلى اليوم فلقد اعتاد علي عيسى في كل موسم مسرحي على إقامة معرض شخصي يمثل حصاد العام فوتوغرافياً حيث وصلت تلك المعارض لحوالي ٣٥ معرضاً، ولكنه كسر هذا التقليد العام الحالي عندما قدم المسجل للتلفزيون أنه نسخة مسرحية معدة للتلفزيون. والأمر مع الفوتوغراف أسهل من ذلك بكثير، وهكذا أصبح لهذا الفن رواده القادرون على اختيار اللحظات المسرحية الأبرز من زمن العرض المسرحي للدخول في ألبوم التاريخ دون سواها ما يعني مؤهلاتهم هؤلاء المسرحية بالإضافة إلى مؤهلاتهم الفوتوغرافية، ولعل من أبرز هؤلاء عراقيا يقف الفنان علي عيسى.

والفنان المصور الفوتوغرافي علي عيسى وثق بكاميرته للمسرح العراقي منذ أكثر من ربع قرن من الزمان حتى صار يمثل الذاكرة الفوتوغرافية الأبرز لهذا المسرح، خاصة وأنه رافق أبرز التجارب والأسماء المسرحية العراقية منذ إبراهيم جلال وليس انتهاء بآخر التجارب الشابة ما أهله للحصول على العديد من الجوائز محلياً وعربياً ودولياً، أبرزها الجائزة الأولى في المهرجان الدولي للصورة الفنية في عمان والجائزة الثالثة في المهرجان العربي للصورة الفنية في دمشق فضلاً عن عدد كبير من الجوائز والشهادات التقديرية من مؤسسات إعلامية عربية وعراقية مختلفة.

وبحكم مزاولته عمله الفني طيلة هذه الفترة الطويلة وما حفظته عدسته من الآف الصور التي تمثل مشاهد لأغلب النتاج المسرحي العراقي منذ منتصف السبعينيات وإلى اليوم فلقد اعتاد علي عيسى في كل موسم مسرحي على إقامة معرض شخصي يمثل حصاد العام فوتوغرافياً حيث وصلت تلك المعارض لحوالي ٣٥ معرضاً، ولكنه كسر هذا التقليد العام الحالي عندما قدم معرضه الجديد في صالة المسرح الوطني متضمناً لقطات نادرة لعروض الفرقة الوطنية(القومية) للتمثيل منذ العام ١٩٧٠ ولغاية ٢٠٠٥، ولقطات أخرى لأبرز رموز هذه الفرقة العريقة. وجدير بالذكر هنا أن علي عيسى كان يقيم معارض فوتوغرافية خاصة تتناسب ونوعية المهرجانات المسرحية التي ترافقها تلك المعارض أو تركز الضوء الفوتوغرافي على تجارب الرواد أو أجيال معينة أو ما إليه.

إن أبرز ميزات العقل الفوتوغرافي لعلي عيسى يكمن في تعامله المسرحي الدرامي مع العروض تبعاً لمخرجيها، لا الممثلين الذين يلعبون أدوارها كما هو معتاد في عمل المصور الفوتوغرافي التقليدي،وقد دأب المصورون على ما يمكن تسميته بمجاملة نجوم المسرح من الممثلين بشكل خاص فيقومون بتصويرهم وهم يؤدون أدوارهم على الخشبات ما يداعب نرجسيتهم دون حساب للمغزى الجمالي والفني للمشهد موضوع اللقطة، وهذا ما ابتعد عنه علي عيسى مسافة معقولة لصالح انتاج لقطة فوتوغرافية يمكن أن تكون جزءاً من العرض المسرحي وفي أحيان كثيرة تكون هذه اللقطة بمثابة مركز العرض وشفرته الدلالية. ومن المعلوم هنا أن لكل مخرج مسرحي منهاجه في خلق العرض، وتتراوح تلك المناهج حسب الفهم الجمالي لكل مخرج للعملية المسرحية وصناعة العرض، وهذا ما يجعل عرضاً يخرجه الفنان القدير إبراهيم جلال يختلف كلياً عن آخر للفنان بدري حسون فريد على سبيل المثال لا الحصر، وبالطبع فإن فروقات صناعة العرض المسرحي بين عرض وآخر لا يكتشفها، بل لا يبحث عنها إلا أهل الإختصاص والنقاد وأيضاً: علي عيسى.

تجبر الكثير من حركات الممثلين البهلوانية، أو المبالغة في التقمص المصورين الفوتوغرافيين على توجيه عدساتهم إليهم، وإظهار تعابير الوجه والجسد بصورة مفصلة فيما تنأى هذه العدسات عن إشراك حركة الممثل في الجو التشكيلي للمشهد موضوع اللقطة، وبالتالي لا يصمد مثل هذا النوع من اللقطات، أما المطلب الملح للصورة باعتباره بياناً وثائقياً وجمالياً عن سيرة عرض ما. ربما تكون هذه اللقطات مفيدة بحدود، خاصة لجهة إظهار مهارات الممثل موضوع الصورة ولكنها لا تخدم تفاصيل العرض بمجمله. ويتجاوز الفنان علي عيسى هذه المعضلة بتوجيه عدسته دائماً إلى المنظر المسرحي الذي يشكل الممثل جزءاً لا يتجزأ منه في الوقت الذي يكرس مساحة الستوديو للقطات خاصة بالوجوه المسرحية العراقية وأبرز صناع فن المسرح.

وتشكل عملية البحث عن مشهد محوري أو إرتكازي في العرض المسرحي عملية معقدة للغاية بالنسبة للمصور الفوتوغرافي، ذلك أن عليه متابعة سلسلة من العروض المختلفة للمسرحية الواحدة حتى يقرر أي المشاهد في هذه المسرحية هو الأكثر قدرة على التعبير عن مضامينه ورؤى مخرجه الجمالية والفكرية، وبعد التعيين تأتي لحظة الترقب انتظاراً لإصطياد اللقطة موضوع البحث شريطة أن تجيء في أقوى لحظات التعبير التمثيلي والصوري عامة، فقد يفشل الممثل في لحظة معينة أو قد يرتكب فنيو المسرح أخطاء فادحة تلحق ضرراً بصياغة اللقطة المختارة ما يعني فشل العدسة بالتالي في اقتناص اللقطة موضوع البحث. يبدأ المصور الحاذق عادة بمراقبة التمرينات المسرحية ثم يواظب على مشاهدة العرض المسرحي مرات ومرات وفي كل مرة تكون كاميرته إلى جواره حتى إذا حانت لحظة الإصطياد يكون المصور جاهزاً لإنتاج لقطة البحث بيسر وسهولة، ولربما فاجأت هذه اللقطة حتى المخرج والممثلين، وفي هذه الحالة يكون المصور قد استطاع أن يكون جزءاً من فريق العرض المسرحي وليس جزءاً فائضاً أو تكميلياً منه، ناهيك عن كون اللقطة الآن قد صارت جزءاً لا يتجزأ من كيان العرض بالرغم من مشكلة الأنية التي تحدثنا عنها سابقاً.

كثيراً ما استطاع علي عيسى أن يكون ذلك المصور المشارك، فهو دائم الحضور في صالات التمرينات كما في صالات العروض، ومن المؤكد هنا أن عروضاً من طراز معين تبدو في كثير من الأحيان معيناً له في صياغة لقطات إبداعية دون عروض أخرى، وذلك لا ينفي بحال الحاجة للصورة الفوتوغرافية في العروض الأخيرة.

وإذ يبحث النقاد ورجال الصحافة دائماً عن لقطات مسرحية تدعم آراءهم وأفكارهم ومقالاتهم عن المسرح فإنهم يختارون بالتحديد تلك اللقطات التي تبوح، أو تلك التي تستطيع أن تكون رديفاً فكرياً للغة المقال المنشور، وعلى المستوى الشخصي فقد كنت دائماً حريصاً على أن تتضمن مقالاتي التي أكتبها وأنشرها حول المسرح العراقي صوراً بعدسة الفنان علي عيسى لأنها كانت تضيف لما أكتب دليلاً جمالياً على ما أحاول مناقشته في مقالاتي.

إن وجود ذاكرة صورية حية لمسرحنا العراقي يحققها الفنان علي عيسى تتطلب أن توضع تحت تصرفه إمكانيات تقنية مناسبة لإدامة عمله وإخراجه من مستوى النيات الطيبة إلى مستوى عمل المؤسسات الصحفية والفنية، وأحسب أن تأسيس دائرة بصرية مرتبطة بالجهة الرسمية الأولى عن فن المسرح في العراق لا يعد مطلباً ثانويا، خاصة مع ثورة الاتصالات التكنولوجية التي غزت العالم. إن دائرة مثل هذه الدائرة التي ندعو إليها ستوفر للجمهور والدارسين على حد سواء فرصة مراجعة تاريخ المسرح في العراق باستمرار مع أبرز محطاته، ومن المؤكد أن مثل هذه الدائرة المقترحة ستستقطب ملحقات أخرى للظاهرة المسرحية مثل وجود مكتبة للفيديو وأرشيف مسرحي متكامل وتسجيلات صوتية ومؤثرات سمعية وما إليه.